وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

سند بيداغوجي في مقياس:

سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي

مستوى: السنة الثالثة علم الاجتماع العام

السداسي الخامس.

إعداد الأستاذ: زهواني عمر

الموسم الجامعي

2023/2022

محتوى المادة:

سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي(1)

السداسي الخامس.

1.طبيعة الرابط الاجتماعي و الكونية الأوروبية

- مفهوم الرابط الاجتماعي

- علم الإجتماع الكلاسيكي و الرابط الاجتماعي (إميل دور كايم، ماكس فيبر، كارل ماركس، جورج زيمل ، غبريال تارد، فلفريدو باريتو)

- الحداثة وما بعد الحداثة

- التجانس الاجتماعي ، التضامن الاجتماعي، الهوية الاجتماعية...

- أسس و أبعاد المواطنة

- أزمة التنشئة الاجتماعية (ضعف الرابط الأسري، الإقصاء الاجتماعي).

1- مفهوم الرابط الاجتماعي

يدرك علماء الاجتماع أن الحياة في المجتمع تجعل من الفرد كائن بشري في وسط علاقات وتفاعلات مع الآخرين منذ الولادة، ويشكل التضامن في كل مجالات التنشئة الاجتماعية الأساس الذي يمكن أن نسميه بالتجانس الاجتماعي – الإنسان على صلة بالآخر، والمجتمع– ليس من أجل ضمان حمايته أمام تحديات الحياة فحسب؛ بل من أجل إشباع مجموعة من الحاجيات الحيوية أدناها الحجات البيولوجة وأقصاها تحقيق الذات. يعتبر الاعتراف مصدر للهوية والوجود، الرابط الاجتماعي كمفهوم لا يمكن فصله عن وعي المجتمعات بذاتها في ظل التطور الرهيب الذي تعرفه الفردانية التي فرضت نفسها بشكل حتمي باعتبارها أحد منتجات النظام الرأسمالي.

يعد مفهوم الرابط الاجتماعي أقرب ما يكون إلى العلاقات الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعي ولكن يحمل معنى أكثر دلالة؛ بحيث يرتبط ارتباطا وثيقا بالتضامن الاجتماعي كما يعكس التجانس الاجتماعي بين الأفراد والجماعات ويحقق في الوقت نفسه الهوية الاجتماعية للفرد وكل هذا في إطار منظومة من القوانين، المعايير، والقيم التي يتفق حولها الأفراد بوعي أو دون وعي منهم، وذلك بممارسات وسلوكات ملموسة تتجسد في الواقع الاجتماعي المعاش. يعني في السوسيولوجيا الفرنسية مجموع الانتماءات والانخراط في العلاقة التي توحد الأفراد أو الجماعات الاجتماعية. الرابط الاجتماعي يمثل القوة التي يرتبط بها أعضاء الجماعة الاجتماعية.

هذه القوة يمكن أن تتغير مع الوقت في البيئة الاجتماعية، كما يمكن للرابط الاجتماعي أن يكون أكثر أو أقل قوة حسب السياق والوضعية التي تتواجد فيها المجتمعات، عندما يصبح الرابط الاجتماعي ضعيف أو ذو نوعية رديئة. بعض الباحثين والتيارات السياسية، يثيرون المشكل تحت زاوية «أزمة» الرابط الاجتماعي، لأن النوعية وشدة الرابط الاجتماعي يصبح كمحدد للنوعية و شدة العلاقة الاجتماعية لأعضاء الجماعة.موضوع الروابط الاجتماعية خلق

مشكلة لعلم الاجتماع هذه المشكلة تعتبر من بين الصعوبات النشأة والانطلاقة الفعلية لهذا العلم خاصة من ناحية الموضوع، بحيث كان واجبا على علماء الاجتماع وقت ذاك الإجابة على السؤال التالي: هل المجتمع الذي يتكون من أفراد مستقلين يمكن أن نعتبرمجتمعاً؟.[1]

« يرتبط مفهوم الرابط الاجتماعي بشكل وثيق بوعي المجتمعات حول نفسها، أي الوعي الذي تنتجه ظروف – هذه المجتمعات– الموضوعية بنفسها ولنفسها، فالرابط الاجتماعي يجمع بين الأفراد داخل المجتمع، من خلال مختلف التنظيمات ومؤسسات التنشئة الاجتماعية،....[2]»

وبالتالي فإن إثبات وجود و موضوعية علم الاجتماع مرهونة بالإجابة على هذا السؤال، حيث حاول البعض منهم أن يفسر ذلك بالتقدم الذي عرفته المجتمعات الإنسانية من خلال فكرة الرابط الاجتماعي مرتبطة بنظرة تاريخية، وفي الوقت نفسه العلاقة بين الفرد وجماعة الانتماء وظروف التغير الاجتماعي على المدى البعيد، لذلك فإن الأمر لا يتعلق بكتلة من الأفراد المفصولين بقدر ما يتعلق بجدلية التغير الاجتماعي (الماضي، الحاضر، المستقبل).

في المجتمعات الريفية التضامن يتطور خصوصا على المستوى الأسري من أجل الحماية والاعتراف بالإضافة إلى الهوية العائلية التي تشكل أسس الاندماج الاجتماعي؛ الذي يعزز بدوره قيم التجانس الاجتماعي. على العكس من ذلك فان المجتمعات ذات النموذج المؤسساتي (الحديثة) تعترف بالفردانية وتمنح الأولوية للفرد مقابل الجماعة خدمة للأنظمة السائدة، حيث أن كل فرد مرتبط بمسار تاريخي يجعله في استقلالية كبيرة مقارنة بالجماعة التي ينتمي إليها، ولكن هذه الأخيرة تجبره ليُعرّف نفسه من خلال الصورة التي تُقدمها عنه الجماعة (صورة الجماعة عن الفرد).

[1] Serge, Paugam « **Le Lien Social** :**Entretien avec Serge**, **Paugam** » Anne Châteauneuf– Malclés- 2012. In. http://ses.ens-lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136#section-0

[2] بلخيري مراد، في سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي، ط1 دار لباحث، الجزائر. برج بوعريريج، 2022، ص 23.

2/1-أنواع الرابط الاجتماعي:

أ- **رابط القرابة:** الذي يكون في الوسط الأسري بالتحديد بين الآباء والأبناء، وشكل الحماية في هذا النوع يرتكز على الحماية بين الأجيال؛ حيث الاعتراف يقوم على الجانب العاطفي.

ب- **الرابط بالمشاركة الاختيارية** نجده بين الأزواج، الأصدقاء، والمقربون(بالاختيار)، يعتمد هذا النوع على التضامن بين الذات و الأعضاء الذين تم انتقائهم؛ حيث شكل الحماية يكون مبني على العاطفة أو التشابه المبني على التوافق السياسي، الاج، والثقافي بالمعنى الواسع للكلمة.

ج- **الرابط بالمشاركة العضوية** نجده في الأوساط المهنية ويكون بين الفاعلين في الحياة المهنية يعمل هذا النوع على تحقيق الاستقرار في العمل وحماية عقود العمل؛ والاعتراف يكون من خلال العمل وتقدير الجانب الاجتماعي والعمل ضمن الفريق أو ما يسمى بالروح الجماعية.

د- **رابط المواطنة** يكون بين أعضاء نفس المجتمع السياسي؛ ويقوم على حماية تشريعية قانونية تتمثل في الحقوق المدنية، السياسية، الاجتماعية في إطار مبدأ المساواة. والاعتراف يكون بالسيادة الفردية دون الخروج عن المصلحة العامة.[1]

[1]-Serge Paugam, OPCIT.

3/1-الرابط الاجتماعي في عصر التنوير:

كانت المجتمعات القروسطية تعيش حالة من الظروف أشبه بالحياة الجهنمية، حيث لعبت الكنيسة المسيحية دورا سلبيا بالجملة، لأن مجالات البحث المسموح بها في ذلك الوقت كانت تخص فقط المجال الطبيعي وذلك بشرط أن لا تتناقض الاكتشافات مع مبادئ الكنيسة. خوفا على المصالح الضيقة للنظام الملكي التراتبي الذي كان سائدا، الذي يقوم على ثلاث ركائز: نبالة البلاط، الكنيسة ورجال، نبالة السيف (القيادة في الجيش).

كانت هذه المجتمعات تبرر عدم المساواة الاجتماعية، أو الفرق بين النبلاء والعامة بالإرادة الإلهية. لكن مع حلول القرن 18م كذب مفكرو عصر التنوير بصورة فعالة وملموسة هذه الرؤية، ولكن من الضروري وبإلحاح على أن أفكار هؤلاء الفلاسفة ما هي إلا إنتاج المراحل التاريخية السابقة بين القرون الوسطى من جهة والقرن 18م من جهة أخرى.

إذ كتب (روني ديكارت 1650/1596) في مؤلفه الشهير Discours De Methode الصادر سنة 1637م " **الفترة السليمة هي أفضل شيء يجمع الناس في الكون**"

يعني أن الفرد يتمتع بعد ميلاده بنفس الفضائل التي يتمتع بها غيره مهما كانت أصوله الأسرية لكن التوظيف الصالح أو السيئ لهذه الفضائل هو الذي يجعل من الإنسان إيجابي أو سلبي[1].

تظهر فلسفة التنوير من خلال المنظور الاجتماعي بمثابة مرحلة تاريخية هامة جداً في التطور الشامل للفكر البرجوازي الأوروبي والأمريكي فيما بعد، ويعتبر هذا الأخير حلقة حاسمة في تاريخ البشرية عامة، باعتباره أحدث أشكالا جديدة في العلاقات والروابط الاجتماعية والتفاعلات الفردية في كل المجالات. إن التعريف الأكثر موضوعية ودقة من بين التعاريف الكثيرة لحركة عصر التنوير هو الذي قدمه لنا الفيلسوف الشهير (إمانويل

[1] عبد الغني مغربي، **محاضرات مادة النظريات** ، جامعة الجزائر- بوزريعة – 2006، ص 2.-

كانط CANT 1804/1724) « الحركة الفلسفية للقرن 18 تتميز بفكرة التقدم وعدم الثقة في السلف والتقليد والسلطة المعرفية المطلقة والإيمان بالعقل السليم والتأثيرات الأخلاقية الخاصة بالتعليم والدعوة إلى التفكير والحكم بصفة حرة » .التمعن في هذا التعريف يوحي بالتحول الكبير الذي عرفته المجتمعات الغربية في أنماط الفكر والممارسة؛ التي تجسدت على أرض الواقع في نشاط التبادل المادي والاقتصادي في ظل الهيمنة التي عرفها الفكر البرجوازي.[1]

هذه المقاربة الاقتصادية من المنظور السوسيولوجي وحدها قد تمكننا من الفهم الارتباط الوثيق بين تنمية اقتصاد السوق حيث يظهر الفرد كمنهل مستقل في تدابيره وأشغاله، وأفعاله هذا من جهة، إبراز هذه التصورات للنظام المجتمعي الذي يعتبر الفرد من خلال ضميره المنبع الأول والأساسي تجاه المعرفة والنشاط وتشكل بنية التبادل نواة المجتمع البرجوازي من جهة أخرى، باعتبار أن الجانب المادي يمثل عصب الروابط المادية هذه الأخيرة تمكن الأفراد والجماعات من الارتقاء إلى الأسس الفكرية، القانونية، السياسية، الأخلاقية والايديولوجية.

أ- القيم الأساسية للتنوير:

ترتكز هذه القيم على الجانب الاقتصادي وذلك لسبب وجيه يتمثل في كون الجانب المادي يمثل عصب الحياة للأفراد والجماعات، لأن الجانب المادي يعتبر القاعدة التي

أ/1-العقد: يتطلب كل فعل شراء أو بيع عملية مدعمة من قبل فردين على الأقل وتسمى الموافقة التي تتم بين إرادتين مستقلتين بالعقد.

أ/2-المساواة: يعتمد التبادل كذلك على الشرط المطلق للمساواة بين فردين أو أكثر.

[1]- المرجع نفسه، ص 3.

أ/3-الديموقراطية: بالرغم من أن هذه القيمة شكلية في أغلب الأحيان وهذا من خلال التحليل الموضوعي لهذه الظاهرة في المجتمعات الغربية التي تصبح مستوعبة ومرسخة ضمن الطبقات الاجتماعية وتتم هذه النتيجة بواسطة بث الايديولوجية الموجودة في المدرسة والأوساط الاعلامية والمنظومة التربوية والمؤسسات الثقافية والاعلامية.[1]

أ/4-العالمية: المشتري والبائع يبحث في السوق عن شريك وذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار المميزات الشخصية.

أ/5- التسامح: لا تهم المعتقدات الدينية الاخلاقية والثقافية في العملية التي تؤدي إلى تجسيد العقد.

أ/6- الحرية: لا يتم التبادل إلا بين شريكين يتقاسمان الحرية ويتمتعان بنفس الحقوق.

أ/7- الملكية: لا يمكن ان تكون عملية التبادل ممكنة إلا إذا كان الشريكان يملكان شرعيا ثروات قابلة للتبادل. تعتبر هذه القيم من أبرز المبادئ التي ركز عليها مفكرو عصر التنوير في بناء نظمهم المختلفة التي قام على أساسها النظام الرأسمالي في الغرب؛ و كانت هذه القيم بمثابة القيم الطبيعية والجوهرية بالنسبة للحياة البشرية.[2]

[1]- عبد الغني مغربي، **محاضرات مادة النظريات** ، جامعة الجزائر- بوزريعة – 2006، ص 4.
[2]-المرجع نفسه ص 5 .

2- علم الاجتماع الكلاسيكي والرابط الاجتماعي

أصبح ضروريا أكثر من أي وقت مضى بالنسبة للمجتمع، إدراج الرابط الاجتماعي ضمن محددات الوعي الاجتماعي، في ظل التصاعد الذي تعرفه الفردانية هذه الظاهرة التي شكلت أحد التناقضات التي وقع فيها عصر الحداثة، وبالتالي مواجهتها كان أمرا حتميا بالنسبة لهذا العصر وذلك بمحاولة الإجابة على الإشكالية التالية: كيف نجمع معاً بشكل متماسك مجتمعا أصبح كتلة من الأفراد المستقلين؟.

أ- ألكسي دوتوكفيل(1905.1959)Alexis De Tocqueville

كان (ألكسي دوتكفيل) أول من تنبأ بخطر اختفاء العلاقات التراتبية السابقة « جعلت الارسترقراطية من كافة المواطنين سلسلة طويلة تبدأ من الفلاح حتى الملك، وجاءت الديمقراطية لتكسر هذه السلسلة وتضع كل حلقة على حدا لأنه حسب (توكفيل) المساواة في ظروف الحياة تقود كل واحد إلى الاعتقاد بأنه يستطيع يحقق الإشباع لكل حاجياته خاصة المادية منها، ولهذا نتيجة هي عزلته عن مواطنيه: وكل واحد يصبح غير مُبال بالآخرين ولم يعد يهتم بالعلاقة بين مصلحته الشخصية والمصلحة العامة [1] ». ولهذا يتجه الأفراد شيئا فشيئا إلى الهشاشة في العلاقات الاجتماعية، بحيث يختزل المجتمع في كتلة من الأفراد المفصولين بالكامل عن بعضهم البعض.

وفي نفس السياق يقدم (توكفيل) بديل العودة إلى الأنشطة القروية التعاونية التي لاحظها في و.م.أ لأنه وسط هذه البيئة تذوب المصلحة الخاصة بالمصلحة العامة، بالنسبة لهذين الباحثين لا يمكن تعزيز الروابط الاجتماعية إلا بالمحافظة على دور الفئات الوسيطة.

يؤكد (توكفيل)على أهمية تسوية الشروط الاجتماعية وإضعاف الفجوة بين الطبقات، للوصول إلى محو الحدود بين الطبقات، والعمل على توسيع الطبقة المتوسطة في المجتمع الفرنسي

[1] - فليب كابان، جون فرونسوا دورتيه: **علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات** ط1، ت إياس حسن، دار الفرقد سوريا دمشق،2010 ص 84.

فبالنسبة له فإن الصراعات في المجتمعات الحديثة هي صراعات مواقف وإيديولوجيات لذلك من الضروري إعادة تجديد مفهوم الفئة حسب متطلبات النظام الجديد بدلا من صراع الطبقات.

ب-ايميل دوركايم (1917.1858) Emile Durkhiem

بالنسبة لـ (دوركايم) اندماج الأفراد في النظام الاجتماعي يمر عبر اندماجهم المباشر في عالم الشغل، ما يضمن لهم وظيفة محددة غير مستقلة عن الوظائف الأخرى (التضامن العضوي) وذلك في إطار المنفعة الاجتماعية، التي تمثل الخصوصية للمجتمعات الحديثة حيث الفوارق الاجتماعية قوية.

في كتابه ففي كتابه De La Division Du Travaille Social تقسيم العمل الاجتماعي) حاول (دوركايم) أن يدرس ظاهرة العمل بشكل مفصل حيث اكتشف ما أسماه بالتقسيم التعسفي للعمل الذي يؤجج الاستياء الاجتماعي وذلك من خلال عدم التناسب والتوافق للكثير من الوظائف مع الموظفين من الناحية الذهنية والبدنية، لكن الظرف الاجتماعية والاقتصادية الجديدة فرضت على الأفراد القبول بها بسبب حركة الهجرة من الأرياف إلى المدن التي أبعدت الأفراد عن الأرض مما أدى إلى انتشار الفقر، البطالة أو ما يعرف بالتلوث الاجتماعي في المدن.

أقام (دوركايم) صلة بين الميل إلى الانتحار ودرجة الاندماج الاجتماعي فالانتحار الأناني حسبه يتنوع تبعا لتناسب عكسي مع الاندماج العائلي، الديني، والسياسي. **يعود ظهور النزعة الأنانية إلى هيمنة النزعة المادية على العلاقات الاجتماعية.**

أ- من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي:

يحلل(دوركايم) ظاهرة العمل كونها *اجتماعية وليست اقتصادية*، بهدف خلق نوع آخر من التضامن بين أعضاء الجماعة، حيث أن المجتمعات التي يسود فيها التضامن الآلي الأفراد

كلهم متشابهون، وتقسيم العمل فيها جد ضعيف، بينما في المجتمعات حيث التضامن العضوي تقسيم العمل جد قوي، لأن الأفراد يمارسون وظائف مختلفة وبالتالي هم مستقلون عن بعضهم البعض بمرجعية جسم الإنسان كل الأعضاء مختلفة لكنها تعمل للحفاظ على حياة الكائن. في الوقت نفسه هذا النوع من المجتمعات هناك غالبا ما يعرف خلل في التوازن بين الوعي الفردي، والوعي الجماعي.[1]

وتقسيم العمل عند (دوركايم) لا يمس الجانب الاقتصادي فقط بل يمس الوظائف والمجالات الأخرى السياسية، القضائية، الفنية، العلمية، كل هذا يتمثل في التقسيم والتخصص المتزايد، كما يتبادر إلى الذهن سؤال آخر عن« ما إذا كان من الضروري أن يكون الفرد بمثابة كل يحقق اكتفاءه الذاتي أم أنه جزء من الكل أي عضو؟.... *يشكل تقسيم العمل قاعدة النظام الأخلاقي وهو منبع التضامن الاجتماعي، فواجب الإنسان يتمثل في القيام بوظيفته*[2]».

الفرد في المجتمعات الحديثة أكثر استقلالية ولكنه أكثر ارتباطا بنمط التضامن الذي يتطلبه تقسيم العمل، إذ يتلاشى التضامن الآلي، يحافظ اختصاص الوظائف على التضامن العضوي.

يكفي تصنيف أنواع القانون لإيجاد أنواع التضامن، المؤسسات إما تحكمها عقوبات قمعية قائمة على عقوبات استردادية (إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه)، المجتمعات حيث يهيمن النوع الأول توصف بالتضامن الآلي أو بالتشابه الذي يميز كل الأفراد وضعف التخصص، (مجتمعات بدائية تقليدية).

أما المجتمعات الحديثة فالقانون يهيمن بفضل هيئات مختصة وموظفين أكفاء، الوعي الجماعي ضعيف، والتماسك موجود بفعل تقسيم العمل، والحاجة إلى الآخر (التضامن العضوي).

[1]- Marc Montoussé , Gilles Renouard :**100 pour comprendre la sociologie**, 4e édition , bréal, France ,2009,p 33

[2]- جان بيار دوران، روبير فايل: مرجع سابق ، ص108.

ب- الأزمة الاجتماعية وأنومية المجتمعات الحديثة:

تقر الأزمة الاجتماعية حسب دوركايم بعدة أسباب منها:

الفردانية التي أفرزها الشكل الجديد للتضامن تؤدي إلى شتى أنواع الاختلال الوظيفي أو الأشكال المرضية (الانتحار).

«يتهدد التضامن العضوي ثلاثة أنواع من التهديدات وهي: الأزمات الصناعية والتجارية، التناقض بين العمل ورأس المال، الفوضى المتصلة بالتخصص العلمي مع غياب اختصاص موحد. وهذا بمثابة ظروف استثنائية تعرقل التضامن العضوي الذي يظهر أزمة أخلاقية وبالتالي تحولات عميقة في بنية المجتمعات، ولم تحل الأخلاق الجديدة محلها مما يؤدي إلى حالة من انعدام التوازن، والمطالبة الفردية بالعدالة (أصل الفكر الاشتراكي) هنا يجب معالجة هذه الأزمة تقنيا اقتصاديا، وإرساء تضامن تعاقدي، ومساواة في الظروف الخارجية حتى يتأسس التفاوت الاجتماعي على الاستحقاق، لا على الإرث[1]».

في كتابه الانتحار يشير إلى أن *العائلة*، الدين والمجتمعات هي المؤسسات التي تحدد هوية الفرد وكلما ضعفت أو انسحبت من أداء أدوارها هذه المؤسسات أو التنظيمات، يفقد الفرد استناده واستنتج في الأخير قانون يقول فيه "يتنوع الانتحار تبعا لمنطق معاكس لدرجة الاندماج في المؤسسات الاجتماعي التي ينتمي إليها الفرد"، وباعتباره يتعامل مع الظواهر كأشياء فإنه يعتقد أن الفراغ العاطفي والوجداني والعزلة الأخلاقية الناجمين عن خلل في الاندماج الاجتماعي والانتحار ثلاثة أنواع:**الأناني:** ضعف وهشاشة الروابط الاجتماعية،**لإثاري:** عكس الأول اندماج اجتماعي قوي يتكرر في المجتمعات التقليدية والمهن العسكرية.

الأنومي: خلل اجتماعي نمطي إبان الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، فترات النمو القوي.

تناول (دوركايم) مفهوم الإصلاح الاجتماعي كبديل للأنوميا من أجل تجسيد التضامن بين الأفراد لمعالجة الأزمة الأخلاقية التي سببها التخلص الكامل من الضوابط الاجتماعية

[1]- المرجع نفسه، ص 109

التقليدية وحلت محلها الصراعات والاضطرابات في كل المجالات «...التي يقدم لنا العالم الاقتصادي مشهدها البائس...» وما على الأفراد ألا أن يُثمنوا الحرية ويستغلونها أحسن استغلال لأنه ما من شيء خطير أكثر من التناقض بين سلطتي الضوابط والحرية الفردية.

ج- غبريال تاردGabriel Tarde(1904.1843)

أ- مقاربة علم النفس الاجتماعي.متأثرا بتكوينه الأول في مجال القانون، ووظيفته في سلك القضاء كان منهجه مختلف كل الاختلاف عن مواطنه (اميل دوركايم) وذلك بإحداث القطيعة مع التفسير المادي، ومنهج العلوم الطبيعية في تفسير الظاهرة الاجتماعية.

«وسع (تارد) مجال أعماله في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية التي فسرها سنة (1980) من خلال الجمع بين قوتين(مفهومين) كبيرتين: التقليد والمحاكاة. إنها لعبة معقدة لعملية تكرار التعارض، والتكيف أخذاً بعين الاعتبار التغير الاجتماعي...اعتماد (تارد) على العوامل البسيكولوجيا جعله يختلف عن (دوركايم) الذيحاول أن يفسر الاجتماعي بما هو إجتماعي...[1]»

أثارت القضايا التي تصل إلى المحاكم انتباه (تارد) الأمر الذي جعله يفكر في ضرورة وجود علم يحاول أن يعالج ويفسر هذه الظواهر؛ في كتابه " الإجرام المقارن" la criminalité comparée1890 بدأ في تطبيق نظرية التقليد على مختلف الأحداث خاصة الإجرام؛ الذي فسره بالمحيط الاجتماعي بعيدا عن الوراثة، والفطرة بالرغم من وجود الاستعدادات الطبيعية إلا أنها ليست بالمؤثرة بفعل الجانب السيكولوجي، والاجتماعي وبشكل أكثر دقة الجماعة المرجعية للفرد.

ظاهرة الانحراف والجريمة حسب (غبريال تارد)تنتقل من الأعلى إلى الأسفل؛ من النموذج إلى بقية الأفراد.

[1] - Raymond boudon, et autres **dictionnaire de sociologie, Bussiére, France, 2005,p 232.**

« يشكل مفهوم المحاكاة Imitation المساهمة الجوهرية لـ (تارد) والتي ظهرت في كتابه: قوانين المحاكاة. إن المحاكاة هي تكرار نموذج سلوكي، وعنصر التكرار هو الأساس في عمليات التفاعل الاجتماعي بين الافراد والتي تشكل موضوع علم النفس الاجتماعي أصلا.[1]»

لاحظ (تارد) أن الجريمة الكبرى تختلف من مجتمع إلى آخر وفق الخصوصية الثقافية، خاصة في مرحلة ما قبل الحداثة، وعلى النقيض من الانثربولوجيا الايطالية للإجرام لصاحبها (تشيزار لومبروزو) التي تقول بوجود مجرمين بالفطرة، فإن (تارد) يعتقد أن الجريمة ليس لها معنى إلا إذا وضعناها في سياقها الزماني والمكاني.

الإنسان حسب (تارد) لا يولد مجرما ولكن له دائما ميولات طبيعية للإجرام؛ وهي ليست السبب الأول، والوحيد في حين يعتقد أن الأسباب الأولى والحاسمة ذات طبيعة سيكولوجية، واجتماعية. (المبدأ الذي يختلف فيه مع دوركايم).

يعتقد (تارد) أن الوسط الاجتماعي يؤثر في الفرد ليصبح مجرما من خلال (العائلة، جماعة الرفاق،...) وهذا في حالة التناقض بين قيم المجتمع العادية، والمحيط الأكثر قربا من الفرد.

فكرة الجريمة حسب (تارد) تنتشر في المجتمع برمته من الطبقات المسيطرة نحو الأسفل فالسكر(شرب الخمر) كان فخامة ورفاه ملكي أرستقراطي قبل ان يصبح عادة شعبية سيئة، السرقة والاغتصاب الجنسي كان سلوكا موجودا لدى العسكر الاعلى رتبة قبل أن ينتقل إلى الجنود، وعامة الناس. متأثرا بالتفسير الفزيائي يقول (تارد) « تفترض مثل هذه النظرية أن الافراد هم انسالاتautomates تامة تحركها رغما عنها قوى تتخطاها.وفي الواقع إن استعارة العدوى متكررة أيضا عند (تارد). فكما أن السيالة الحيوية تمر من خلايا.فان التقليد ينتشر من وعي إلى وعي. [2]»كما أن الجريمة يمكن أن تكون جماعية بفعل الانسجام السيكولوجي بين الافراد وعملية التقليد التي تنتقل من فرد لآخر بشكل طبيعي

[1]- خير الله العصار، مرجع سابق ، ص 76.
[2]- فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، مرجع سابق ص 66.

(مظاهرات...أعمال شغب...جريمة)، ويمكن للجريمة أن تحدث بشكل منظم، ومهيكل بقواعد وقوانين تحكمها مثل: جماعات المافيا الايطاليا حيث يحكمها أشخاص يتأثر بعضهم ببعض، كما يمكنهم التأثير على جماعات أخرى لإنتاج نفس الممارسات.

انتقلت السوسيولوجيا التي نشأت في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى و.م.أ بحلول القرن العشرين؛ بالخصوصية الثقافية لهذا المجتمع الذي عرف وقت ذاك حركية اقتصادية متميزة مما استقطب موجة من الهجرات من كل القارات الأخرى، بحيث أحدثت هذه الظاهرة تحولات في البنية الاجتماعية، وأنتجت الكثير من الظواهر؛ الأمر الذي فرض على علماء الاجتماع محاولة فهم و معالجة هذه الظواهر، وذلك بالاستعانة بالتراث النظري الأوربي ولكن بتكييف هذه النظريات حسب الخصوصية الثقافية للمجتمع الأمريكي وأصبح علم الاجتماع يتصف بمميزات جديدة خاصة ما يعرف بالبرغماتية والمهارة السوسيولوجية خارج الجامعة.

د- ماكس فيبر(1920.1864)Max Weber

يركز (ماكس فيبر) على أهم العوامل التي بإمكانها تمزيق النسيج والتجانس الاجتماعي للمجتمعات الغربية وهي نتيجة أخرى للحداثة أو ما أسماه بالتمايز الاجتماعي من ناحية (الاقتصاد،الدين، القانون، العلم) مما يؤدي إلى إنتاج أنساق وقيم ومعايير نوعية بالنسبة للأفراد الذين تبنوها مهددة بالدخول في صراع بينها هنا يتكلم (فيبر) عن **تعدد آلهة القيم**

ففي عالم دنيوي علماني لم تعد هناك قيمة واحدة يمكن أن تفرض نفسها بالكامل على الجميع، لأن اختيار القيم موضوع قرارات شخصية لا يمكن بعيدة عن العقلانية. وهكذا فإن المجتمعات الحديثة تعاود بناء صراع القيم أو ما يعرف بـ: **حرب الآلهة** في المجتمعات القديمة.

« تفسير الطابع العقلاني للاقتصاد الرأسمالي مزيد من المال مع العزوف عن الملذات العفوية للحياة "اكتساب المال حرفة": مظهر من مظاهر العقلانية، الكالفينية: كانت ترفض

فكرة الكنيسة الضامنة للخلاص هي التي أسرعت في مسار عقلنة العلم على أساس أن كل فرد يرى نفسه بمفرده أمام الرب، ومن هذا المنطلق تتحول المجهودات إلى عقلنة العالم إجلالا لعظمة الرب، النجاح في الحياة المادية علامة على اصطفاء المؤمن وبالتالي العقلانية الاقتصادية والسياسية بمثابة فائدة دينية ودنيوية[1]».

التحول العلماني والتحول التقني للفكر يضعان نهاية العالم الأساطير والمعتقدات الدينية، وهذا هو معنى الصياغة الجميلة لـ (فيبر) حول "نزع السحر عن العالم".

أبرز (فيبر) أثر التوجه القيمي للمذهب البروتستانتي عل ظهور الرأسمالية داخل المجتمعات الأوروبية المعاصرة ليس السعي نحو تحقيق الأرباح [2]»، إنما العمل أولا كقيمة اجتماعية، والعقلانية في الإنتاج والاستهلاك، وكان إدراج (فيبر) للأخلاق الدينية في الاقتصاد كان بهدف إحداث نوع من التوازن بين ما هو مادي، وما هو روحي بالإضافة إلى تحسيس الأفراد بضرورة الالتزام بالأخلاق البروتستانتية في الممارسة الاقتصادية الأمر الذي يحقق الرقابة الذاتية النابعة من العقيدة، وذلك كإضافة للرقابة والقانون الوضعي الذي يجب أن يطبق بكل صرامة.

ينتقد (فيبر) الطرح الماركسي وذلك باعتماده على عوامل أخرى غير مادية في تفسير العلاقات والروابط الاجتماعية بين الأفراد، والجماعات مثل النظام الديني، الأخلاق، أو ما يعرف بالجانب الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة. عكس النظرية الماركسية التي ترى أن الدين والقيم، والأفكار، والفلسفات، والايديولوجيات ليست سوى عناصر البناء الفوقي للمجتمع أو علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج في المجتمع.

[1]- جان بيار دورن ، روبير فايل ، **علم الاجتماع المعاصر**،ترجمة ميلود طواهري،ط1 ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر،2012 ، ص 90،91.
[2]- وسيلة خزار، **الايديولوجيا وعلمالاحتماع، ط1**، منتدى المعارف، بيروت، لبنان153.

هـ- كارل ماركس (1883.1818)Karl Marx

ما من باحث يريد البحث في مواضيع العدالة الاجتماعية، المساواة، الاقتصادية، وتوزيع الثروة إلا وخضع للبحث ودراسة أعمال (ماركس) حول نظرية الطبقات" لم يكن هذا التحليل (تحليل المجتمع من خلال الطبقات الاجتماعية)، بل سبقه عدد من الباحثين الو مثل (آدم سميث، وألكسي دوتوكفيل) (المجتمع طبقات اجتماعية)، (مواقع السلطة، المصالح المتباعدة). ولكن (ماركس) جعل من الصراع الطبقي محركاً لتاريخ البشرية.

ولفهم التحليل الماركسي لابد من معرفة المجتمع الذي عاش فيه، لقد أحدثت الرأسمالية انقلابا في المجتمع الإقطاعي، الذي كونته ثلاث مراتب: الفلاحون الارستقراطيون، ورجال الدين. لذلك يركز ماركس على ضرورة طرح أكثر من بديل في أي نظام اجتماعي من أجل ضمان الاختيار؛ «طرح مجموعة من التطورات، والاختيارات الإنتاجية للإنسان سيكون لك شكل من أشكال التجارة، والاستهلاك؟...طرح بعض الدرجات من التطور، والإنتاج، والتجارة، والاستهلاك، سيكون لك شكل من أشكال الدستور (أو القانون) الاجتماعي، تنظيم اسري معين، نظم أو طبقات، في كلمة مجتمع مدني معين. [1]»

ومع تطور التجارة والصناعة خاصة ظهرت طبقتان جديدتان:

-**البرجوازية:** التي زعزعت النظام السابق واحتلت مكانا مهيمنا، هذه الطبقة بدورها تنقسم إلى طبقتين؛ البرجوازية الصغيرة وهي فئة ضبابية تتكون من التجار الصغار، الأطباء، والمحامون، الأساتذة، والإداريين، وكافة الموظفين. أو ما يعرف بالطبقة الوسطى، أما الفئة الثانية فهي التي تملك وسائل رؤوس الأموال، ووسائل الإنتاج. بعبارة أخرى هي الفئة التي تتحكم في وسائل الإنتاج المادية والعقلية.

- **البروليتاريا:** التي تتمثل في الحرفين والفلاحين الذين طردوا من الأرض وأصبحوا القوة الرئيسية في الشركات الصناعية الكبيرة.

[1] -Jean Pierre Delas, Bruno Milly, OP CIT. P 131.

وكانت ظروف وأوضاع هذه الطبقة ميدان خصب للدراسة والبحث بالنسبة لمجموعة من الباحثين من بينهم (ماركس) (ساعة العمل (12 –16 ساعة): استغلال الأطفال، الإدمان، الفقر أو الإفقار.التفسخ الأخلاقي للطبقة العاملة، وبالتالي كان مشروع ماركس فهم دينامية صراع الطبقات أكثر منه وجود الطبقات أو وصف حالتها، فهو يحدد الطبقات عن طريق موقعها من علاقات الإنتاج، 90% من البروليتاريا عمال مدفوعي الأجر، وما يهم (ماركس) كما سبق الذكر ليس التراتب الطبقي الاجتماعي بل دينامية المجتمع حول صراع مركزي بين البرجوازية والبروليتاريا، فالبرجوازية: تسعى بعطشها للربح إلى الاستغلال المتزايد للبروليتاريا، وهذه الأخيرة المحكومة بالإفقار والبطالة المستمرة، ليس لها من مخرج سوى التمرد الفردي أو الثورة.

« إن نمط الإنتاج في مجتمع ما يتألف من القوى المنتجة (الناس الآلات والتقنيات) ومن علاقات الإنتاج (العبودية، الحرفية، المأجورة) يشكل نمط الإنتاج هذا القاعدة التي تقوم عليها البنى الفوقية السياسية والقانونية الإيديولوجية في المجتمع...وبوصولها إلى درجة معينة من التطور فإن القوى المنتجة تدخل في صراع مع علاقات الإنتاج. ومن هنا يبدأ عصر الثورة الاجتماعية.[1]» مشيرا بذلك إلى صراع الطبقات في نظام سياسي اقتصادي تحكمه الطبقة البرجوازية، وتملي عليه كل ما يجب القيام به من أجل الحفاظ عل النظام السائد من خلال جملة من الاستراتيجيات في مختلف المجالات المجتمعية.

«الأفكار قوى مادية عندما تستولي على الجماهير "كتب في بيان الحزب الشيوعي" كان لماركس حس عميق بالترابط الجدلي بين القوى الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجيا في دينامية التاريخ، إن القوانين الاقتصاد الرأسمالية... تحرض أزمات تستطيع أن تخلق تمردا أو استسلاما أما الثورة البروليتاريا فهي إمكانية تاريخية، وليست نتيجة لا محيد عنها. [2]»

[1] - فليب كابان، جان فرونسوا دورتيه، مرجع سابق، ص 36.
[2]- المرجع نفسه، ص 38.

الصراع الطبقي حسب (ماركس) هو المحرك الذي من خلاله تنتقل المجتمعات من مرحلة إلى أخرى وتنتصر في النهاية أحد الطبقات لتبني نظاما جديدا للإنتاج يحمل في داخله بذور فنائه، استمرار هذه العملية الديالكتيكية في المجتمع الرأسمالي سيؤدي إلى حتمية الصراع بين طبقتين، الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج، وطبقة البروليتاريا أو العمال فمن خلال الوعي الطبقي ستنتصر البروليتاريا ليسود النظام الاشتراكي الذي يتميز بالملكية الجماعية لوسائل الانتاج، ويسلم في النهاية لمجتمع بلا طبقات.[1]

للتخلص من مظاهر الاستغلال، الإقصاء، التهميش، والجشع الذي تتميز به البرجوازية.

و-جورج زيمل (1858-1918)George Simmel :

يعد (زيمل) من بين الرواد الألمان الأوائل الذين أعطوا للسوسيولوجيا « محتوى دون ضبابية، .محكوم بإشكالية، وبأسس منهجية مؤكدة»

كان زيمل من بين العلماء الذين يسعون إلى الالتزام بالموضوعية في الطرح وتحليل العلاقات والتفاعلات الاجتماعية: « وبعد الكشف بهذا الشكل عن الميل الثابت للتحقق الموضوعي objectivation الصريحة للعلاقات الاجتماعية فقد شارك (زيمل) بالكامل في التحليلات التي تبحث عن كشف النقاب عن مجرى الصيرورة الإنسانية الذي ينسج منذ ثورات القرن 18 الكبرى، والقرن 19 وكمفكر للحداثة، ينظم إلى (ماركس) حين يعزو مسؤولية الانعزال والاغتراب الإنسانيين إلى تقسيم العمل. لكنه يتركه كي يلتحق باليوتوبيات الشاعرية التي تهدف إلى إحلال عمل فني فردي محل أي عمل مصنوع.[2]».

أما بالنسبة للأشكال الاجتماعية التي درسها بشكل مباشر، والتي بسببها لُقب بـ:(Le Sociologue De Modernité) نذكر: المهاجر، النقود، الموضة، أو ما يعرف

[1]- وسيلة خزار، مرجع سابق ص 137.
[2] - فليب كابان مرجع سابق ص 74.

بسوسيولوجيا الأشكال، التسمية توحي بأن أعمال (زيمل) تصب في جوهر العلاقات و الروابط الاجتماعية.

أ-سوسيولجيا الاشكال: كان (زيمل) متأثرا كغيره من المفكرين بالظروف التي كانت سائدة في أوروبا أنذاك. خاصة ما يعرف بالنزعة الفردية ذلك ما جعله يركز على مفهوم **التمايز الاجتماعي** لأن الحياة الاجتماعية سلسلة من العلاقات الاجتماعية التي لا تتوقف، واختصر ذلك في مفهوم **الفعل المتبادل** الذي يعكس التأثير والتأثر، وهو فعل موجه بمجموعة من الدوافع المختلفة (الغرائز الجنسية، المصالح العلمية، المعتقد الديني، العمل ....) هذه الكلية المتحركة دوما هي التي تساهم في توحيد كل الأفراد في المجتمع.

يصنف (زيمل) كونه الأب الجهول للسوسيولوحيا التفاعلية وذلك نتيجة تركيزه الشديد على التفاعل **الخلاق**. لأن إنتاج مجتمع بهذا المعنى هو المصدر المؤسس **للترابط الاجتماعي،** وعلى العكس من **(دوركايم)** ينحاز **(زيمل)** إلى صيرورة المجتمع وليس إلى الضغط الذي يمارسه المجتمع لذلك يتناول مفهوم التنشئة الاجتماعية بأكثر حرية دون أن يغفل عن البنيات المهمة التي تدفع إلى إعادة الإنتاج الاجتماعي.

« ...الموضة تعبير عن النزعة الفردية الحديثة ودون أن نتوقف مع ذلك عن فحص الفروقات الطبقية. تكشف ربما بشكل أفضل من أي شكل آخر جوهر دينامية الاجتماعي. تسمح الموضة في الواقع بالتفرد(الحاجة إلى التميز) دون الانفصال عن زمر الانتماء(الحاجة إلى التماسك). فهي شكل للحياة، من أشكال أخرى كثيرة، يسمح بأن يجتمع في فعل موحد الميل إلى المساواة الاجتماعية والميل إلى التمايز الفردي. أي إلى التنوع.[1]»

« يرى (زيمل) أن النقود قد أدت من الناحية التاريخية في تحديد، ليس فقط قيمة الأشياء، بل كذلك الناس. لقد ساهمت النقود في الحرية الفردية، لكن أصبحت غاية بذاتها وهي تساهم كذلك في تراجيديا الثقافة الحديثة حيث قيمة الأشياء تفوق قيمة الأشخاص.[2]» لأن النقود

[1] نفس المرجع ص 73، نقلا عن: زيمل "العالم" 1895 في التراجيديا والثقافة ،ريفاج1988.
[2] نفس المرجع ص 75.

ظاهرة أنتجتها الحداثة بالإضافة إلى كونها من أهم العناصر التي تقوم عليها الديمقراطية؛ لكنها في الوقت نفسه جردت العالم، والمجتمعات من القيم الأخلاقية كما ساهمت في انتشار العنف، التبذير، والصراع...إلخ. لكن التأثير الأكثر مدعاة هو أنه من خلال تدمير الكيفي لصالح الكمي، فهي تميل إلى تسوية القيم في حدها الأدنى.

ب-تراجيديا الثقافة:

يتناول (زيمل) الظواهر والتناقضات التي أنتجتها الحداثة كغيره من المفكرين في تلك المرحلة، لكن تبقى خصوصيته، وبصمته المتميزة من خلال نوعية الظواهر التي حاول معالجتها والتي تجسد بحق معلم التحول الذي عرفته المجتمعات الغربية مثل ظاهرة النقود، الهجرة، الموضة، حيث تناول هذه الظواهر بالدراسة النقدية، والتحليل الموضوعي خاصة عندما فكك التناقضات التي وقع فيها عصر الحداثة، والمقارنة بين النظام الاجتماعي التقليدي، والحديث في إطار تراجيديا الثقافة من وجهة نظر أن هذه الأشكال الاجتماعية من التفاعل تتطور مع الوقت لتفرض نفسها وتتحول إلى قوانين خارجة عن السيطرة ذلك ما يجعلها تعمل بمنطق الاستقلال الذاتي إلى درجة أن تصبح غريبة عن الأفراد الذين أنتجوها.

يرى(زيمل) العلاقات الاجتماعية شاكلة الجسر الذي يربط والباب الذي يفصل، فهي علامات لميول متضاربة نحو التماسك والانفصال، تتأثر هذه العلاقات بالظروف المجتمعية العامة في إطار الصيرورة الخاصة بكل مجتمع.

ز- هربرت سبنسر(1820-1903)Herbert Spencer:هل يمكننا الحديث عن (سبنسر) بنفس القدر مع آخرين مثل(سان سيمون)، (ماركس) ؟ وكل ما تحمله أعمال هذين العالمين من التقلبات في المعاني، وتعدد التفسيرات لما وراء الكلمات؛ (السبنسرية) لم تفرض نفسها كتوجه محدد لأن (سبنسر) ، ولد في انجلترا ويعتبر أحد العمالقة في علم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر، فقد سجل نفسه ضمن تيار واسع، ومهيمن في عصره،

التطورية التي أصبح فيها مفسراً من الطراز الأول... (سبنسر) فرض بصمته في تركيبة التطورية الاجتماعية[1].

بالرغم من نزعته التطورية وتأثره بالمنهج البيولوجي إلا أنه ظل وفيا للمبادئ الثقافية للمدرسة الانجليزية، وذلك من خلال الالتزام بالواقعية، في تحديد موضوعات علم الاجتماع الأمر الذي ساعد على تحديد معالم هوية هذا العلم في الوضوح وتحقيق الاستقلال.

« حيث يفسر لنا نمو التنظيم السياسي من خلال فكرة الصراع ؛ فالمجتمعات تبدأ عنده بالحالة الحربية حيث يكون هناك صراع مستمر بينها، ما يؤدي بالمجتمعات أو الجماعات المتجاورة إلى الاتحاد تحت تنظيم سياسي مشترك قادر على أن يكفل لها الحماية ضد هجمات المجتمعات الأخرى...تتطور حتى تصل إلى المرحلة الصناعية المتطورة والمعقدة[2].

تعددت المواضيع التي تطرق إليها (سبنسر) حيث كان من المدافعين بشدة عن مبدأ دعه يعمل دعه يمر، وكذا عن الحرية الفردية، وقانون البقاء للأصلح،كما أن نظريته في الأخلاق تعتبر أن السلوك الأخلاقي هو ما يحقق للفرد اللذة، ويبعده عن الألم، وبالتالي العمل بمعيار المنفعة أو البرغماتية .

« تظهر ايديولوجية (سبنسر) على خلاف (كونت) حيث يعتقد أن الطبيعة من تلقاء نفسها تميل إلى التخلص الطالح، وتحتضن الأصلح، وهذا التوجه يعني في النهاية الدفاع عن الأوضاع الراهنة، وتبرير لفظائع المد الاستعماري، وتبريرا ملحوظا للمنافسة الاقتصادية الصارمة في إطار النظام الرأسمالي العريق الذي كان يسود إنجلترا.[3]»

الاستيعاب الحقيقي لأي نظرية سوسيولوجية كانت يمر عبر خطوة جد مهمة لا يمكن تجاوزها لأنها تعتبر جوهر الفهم الحقيقي هذه الخطوة تتمثل في محاولة كشف الجانب الخفي في النظرية وهو الايديولوجية التي يمكن من خلالها ان يكون الباحث قاعدة معرفية بمثابة

[1]- Mostaefa Boutefnouchet, Introduction A La Sociologie, les fondements, OPU ,Aleger,2004, p 63.

[2]- وسيلة خزار، مرجع سابق، ص 140.

[3]- وسيلة خزار، مرجع سابق، ص 140

جهاز للمناعة الفكرية، من أجل مساعدة المجتمع الذي ينتمي إليه في ظل المد الاستعماري الجديد.

ح- فلفريدو باريتو .(1848.1923)Vilfredo Pareto

تكون في الفيزياء، كما عرف بالاقتصادي الهامشي، وصنف كذلك من بين أهم علماء الاجتماع، نشر أطروحته في علم الاجتماع العام سنة 1916. حيث تناول في هذا المرجع المميز موضوع النخبة، ويعتقد أن هذه الأخيرة يجب عليها أن تتحمل السلطة السياسية، ويجب عليها في الوقت ذاته أن تقود المجتمع السياسي.

يميز (باريتو) بين ثلاثة أنواع من رجال السياسة؛ الفئة الأولى هي التي تتنافس في ممارسة السلطة، وتبحث الثراء، هي الفئة التي تظهر من خلال التنافس وذلك بإدماج شخصيات جديدة، وإبعاد شخصيات فقدت مصداقيتها وهي نخبة سلطوية تخاطر دائما بفقدان الشرعية. الفئة الأخيرة هي الفئة النخبة غير السلطوية مرشحة في حالة انسحاب الفئة الأولى والثانية لأخذ مكانها في الحكم. التداول حسب (باريتو) لا يمكن تجنبه ولا يمكن بأي حال من الأحوال القضاء على هيمنة النخبة؛ لأن النخبة الجديدة لا تتميز عن القديمة إلا بالمهارة في التسيير والحكم [1].

في وقت ليس ببعيد عن (إميل دوركايم) جعل (باريتو) مسألة تحديد هوية علم الاجتماع شغله الشاغل، حيث اعتبره علم منطقي تجريبي، في سعيه لوضع الحدود المنهجية لعلم الاجتماع، والتمييز بينه وبين العلوم الأخرى رفض رفضاً مطلقا دراسة الظواهر الاجتماعية من جانب واحد فقط. او تلك التي تؤكد تبعية مختلف الظواهر إلى ظاهرة كلية وحيدة. وهذا من منطلق ان مختلف الظواهر الاجتماعية تتساند فيما بينها تساندا وظيفيا. كما أكد على ضرورة تفسير للظواهر الاجتماعية بظواهر في التخصصات الأخرى مثل الاقتصاد.

يظهر بشكل جلي في نظرية النخبة لـ: (باريتو) أنها نظرية زاخرة بالاتجاه المحافظ، ويظهر عدائه للاتجاهات الاشتراكية، وقد ذهب في عدائه إلى ابعد ما ذهب إليه (دوركايم).

[1]- Marc Montoussé , Gilles Renouard, **OPCIT**,p 40.

يختلف (باريتو) عن (ماركس) في التوجه الايديولوجي وهذه ابرز مظاهر الاختلاف:

– نظرة ماركس للإنسان انه عاقل وقابل للكمال، بينما يعتقد (باريتو) انه انفعالي وعاطفي عاجز عن تغيير الاوضاع.

– صراع الطبقات عند (ماركس) صراع مؤقت ومحرك للتاريخ كما أن الصراع ضروري لتطور الحياة الاجتماعية، في حين يرى (باريتو) أن الطبقات وصراعها أبدي، والتاريخ البشري ليس تاريخا تقدميا، وإنما هو تاريخ دائري إلى حد كبير.

– الاختلاف بين الأفراد عند (باريتو) يكمن في الطبيعة السيكولوجية، اما (ماركس) فيرى الاختلاف في العوامل الاقتصادية، والاجتماعي. تنتمي النخبة إلى الطبقة البرجوازية (باريتو) لأنها الطبقة الوحيدة المتوازنة بطبيعتها. وهي التي تحتفظ بأكبر قدر من الالتزام الخلقي بمعنى أنه حكم على الطبقات الدنيا أن تبقى كما هي ولا يمكنها الحكم أبدا.[1]

يبدو أن (باريتو) الذي كان في مرحلة الشباب مدافعا عن الطبقات الكادحة، ويهاجم البرجوازية تحول بشكل مفاجئ إلى اشد الأعداء للفكر الاشتراكي، والنزعة الإنسانية في الفلسفة، البعض فسر ذلك بوصول (موسوليني) إلى الحكم. ويشير (زايتلن) إلى أننا « لا نعرف الاثر الذي تركه (باريتو) في موسوليني) وما إذا كانت هناك علاقة شخصية بينهما.

[1]- وسيلة خزار، مرجع سابق، ص 149.

خلاصة

تتعرض فئة العمال إلى الكثير من المشاكل والصعوبات في ظل التنامي غير المسبوق للمجتمعات الصناعية من حيث كثافة ساعات العمل وعدم الاستقرار الوظيفي بحيث كان يسود اعتقاد لدى أرباب العمل أن العمال هم السبب في عدم بلوغ التنظيمات للأهداف المسطرة، لذلك أصبح العمل بعقود محددة المدة هي الصيغة الأكثر انتشارا مما سبب قلقا كبيرا في أوساط هذه الفئة حيث المصير المهني مجهول وغير مضمون الأمر الذي أثر سلبا على العلاقات الاجتماعية التي ترتبط بعالم الشغل.

فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حاولت الدراسات السوسيولوجية الكشف عن واقع ظاهرة العمل في الدول الغربية الرأسمالية حيث كشفت الكثير من التناقضات من بينها الاستقلالية التي يشعربها العمال تجاه مسئوليهم، ولكن تقسيم العمل والتخصص والتكليف الوظيفي، زائد الكثافة والصرامة خلق إرهاق نفسي، وبدني كبيرين لدى العمال. ظروف العمل هذه قللت من فرص الاندماج الاجتماعي وجعلت الروابط الاجتماعية تعرف حالة من الضعف لم تكن عليها في المجتمعات التقليدية. لذلك نجد نوع من الاتفاق بين الرواد الكلاسيكيون حول أهمية العمل والجانب الاقتصادي بصفة عامة بالنسبة للأفراد والجماعات في إرساء معالم الإنسانية من التعايش، والتضامن، والانسجام الاجتماعي، لكن كل واحد منهم بتصوره الايديولوجي الخاص.

3- الحداثة ومابعد الحداثة:

1/3- الحداثة

الحداثة تشير مرة واحدة إلى مرحلة من تاريخ البشرية في القارة الأوروبية، ومجموع الظواهر التي برزت في ذلك الوقت (نهاية القرن 17وبداية القرن 18). مع التقاء الثورات الثلاثة الفكرية، الفرنسية، الصناعية انتقل المجتمع الأوروبي بأكمله من نمط اقتصادي إقطاعي إلى النظام الرأسمالي، ومن نظام حكم ملكي إلى نظام جمهوري، ومن خطاب ديني مطلق يقيد العقل والفكر إلى معيار العلم والمعرفة النسبية مع الفكر العلماني.[1]

بدأت معالم التحول في البناء الاجتماعي تتجسد في قيم وظواهر على ارض الواقع منها تقسيم العمل والتمدن، خروج المرأة إلى العمل، الهجرة ، الطبقات الاجتماعية؛ وموازاة مع ذلك ظهرت قيم جديدة فالعقل أصبح المعيار الذي يخضع له الجميع، الحرية، المساواة، حقوق الإنسان، المواطنة...الخ.

هذا التحول، وهذه المرحلة أطلقت عليهما تسمية عصر الحداثة، الذي يعتبر موروث سوسيولوجي، أو بعبارة أخرى شكلت هذه الظواهر موضوع للدراسة والبحث لهذا العلم الذي يعتبر المختصين ابن الحداثة.

انقسم علماء الاجتماع إلى مؤيد ومعارض حيث كان يعتقد المحافظون أن هذا العصر بمثابة الكارثة لأنه قام بتمزيق النسيج الاجتماعي للمجتمع الأوروبي الذي كان سائدا في العهد القديم رغم الظروف الصعبة التي سببها النظام السابق إلا أن التضامن والتجانس الاجتماعي من أبرز سمات تلك المرحلة، في المقابل وصف اللبراليون الحداثة بالعصر الذهبي حيث تعتبر الحرية، المساواة والتخلص من سيطرة الكنيسة من أبرز القيم التي افتكها المجتمع الأوروبي.

[1] - Raymond boudon, et autres **dictionnaire de sociologie, OPCIT ,** p 155.

تناول المؤسسون الأوائل لعلم الاجتماع هذا العصر بالدراسة والتحليل وتوصلوا إلى مجموعة من التناقضات التي وقعت فيها الحداثة ابرزها:

– طرح (اليكسي دو توكفيل) ثنائية الارستقراطية والديمقراطية فالمطالبة بالمساواة في الظروف وشروط الحياة توفر أفضل الفرص فهي تقود الأفراد إلى البحث عن السعادة لكنها قد تؤدي إلى الفوضى كما إلى الاستبداد من أجل التحكم في المجتمع وفرض النظام وتكون مشكلة الديمقراطية في التوفيق بين الحرية والمساواة.[1]

– النزعة الفردية عند (دوركايم) كانت بمثابة الانطلاقة الفعلية لظاهرة الحداثة فتقسيم العمل بشكل متزايد، يؤدي إلى فوارق اجتماعية واقتصادية كبيرة، الأمر الذي ينعكس سلبا على الاندماج الاجتماعي للأفراد، الطبقية من جهة والعزلة الاجتماعية من جهة أخرى يجعل الأفراد يتشابهون في صفة البشرية فقط وليس الإنسانية؛ مما يجعل إمكانية الانتحار لدى لأفراد احتمالات واردة حسب درجة الاندماج الاجتماعي.

– يثير الأب المجهول للتفاعلية الرمزية (جورج زيمل) ثنائية المدينة والريف؛ حيث تحرر المدينة الأفراد من الرقابة الاجتماعية حيث تغيب صلة القرابة والضمير الجمعي وتهيمن المصلحة الخاصة على المصلحة العامة في نفس الوقت تمنح المدينة مستوى من الاستقلالية فالأدوار ليست مقدرة منذ الولادة إنما يتم اختيارها بحرية في سياق الحياة والظروف، في المقابل مستويات الرقابة الاجتماعية مرتفعة ومقيدة لأفرد في الوسط الريفي ولكن الفرد يحصل على الرعاية والتكفل بعيدا عن الانحراف باعتبار هذا الوسط يسوده التضامن الاجتماعي.

– استعمل (ماكس فيبر) مفهوم آلهة القيم، باعتبار أن الأفراد في عصر الحداثة يختلفون كل الاختلاف في القيم التي يحتكمون إليها في سلوكاتهم ففي عالم دنيوي علماني لا يمكن لقيمة

[1]- فليب كابان، جون فرونسوا دورتيه، مرجع سابق.

واحدة أن تفرض نفسها بالكامل على كل فرد، هذه القيم بمثابة الآلهة (عند ماكس فيبر) لذلك تنبأ بحرب الآلهة، أو الصراع نتيجة ظهور قيم ومعايير جديدة.

هذه التناقضات هي أفضل ما يمكن أن يصف لنا هذه المرحلة من تاريخ المجتمعات الأوروبية، التي كان لها الأثر الكبير على بقية المجتمعات في كل أنحاء العالم ومازالت أثار هذه الظاهرة موجودة في المجتمعات الغربية وبقية المجتمعات الأخرى رغم مجيء مرحلة ما بعد الحداثة التي تسع بجهد للقضاء على ما سبقها.

3/2 ما بعد الحداثة:

في محاضرة ألقاها سنة 1980 أثناء منحه جائزة (تيودور أدورنو) في فرانكفورت تحت عنوان: الحداثة في مقابل ما بعد الحداثة. حيث أشار(يورغن هبرماس) إلى أن ما بعد الحداثة تقدم نفسها في صورة تعادي الحداثة، واخترق هذا المفهوم كل مجالات الحياة الفكرية بوصفه لتيار شعوري اجتاح عصرنا، ويتضمن نظريات عن ما بعد التنوير، وما بعد الحداثة بل ما بعد التاريخ أيضا، هذا ما يؤكد الصراع القائم بين المراحل التاريخية التي مرت بها البشرية حيث أن كل مرحلة تقوم على أنقاض مرحلة أخرى.

مصطلح modern بصورته اللاتينية modernus استخدم لأول مرة في أواخر القرن الخامس لتمييز الحاضر الذي أصبح مسيحيا عل المستوى الرسمي عن الماضي الروماني الوثني، ويعبر المصطلح modern عن الوعي بحقبة تتصل بالماضي ويعد نتيجة للانتقال من القديم إلى الجديد، وشاع استخدام مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي كما شاع استخدامهما كذلك في العقد التالي كمصطلحين تنظيمين في الأعمال النقدية التي ترصد أدق التغيرات التي تطرأ على المعايير الثقافية.

تم تفسير الحداثة وما بعد الحداثة وفقا للمثل الفكرية والايديولوجيا الغربية حيث ترتبط ما بعد الحداثة بصورة وثيقة بالتطورات التي شهدتها المجتمعات الرأسمالية الغربية فيما بعد الحرب،

ولأن الولايات المتحدة لا تزال تمثل الحالة النموذجية لهذه المجتمعات، وإذا جمعنا المفهومين معا الحداثة وما بعد الحداثة يمثلان خصوصية ثقافية غربية (أوروبية أمريكية) بامتياز.

تعتبر النزعة الاستهلاكية من أبرز السمات التي تميز مرحلة ما بعد الحداثة، والاستهلاك في هذه المرحلة لا يقتصر على المنتوجات الاقتصادية فقط، إنما يتجاوزها إلى الاستهلاك الإعلامي، الفكري، الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة؛ هذه النزعة التي لا تستطيع إلا أن تكرر نفسها وتشكل ضغطا رهيبا على الأفراد والجماعات، من خلال عملية التسابق نحو تحقيق أكبر دخل ممكن، من أجل إنفاقه فيما بعد، وتكون عملية الإنفاق في بعض الأحيان على منتوجات لا يكون الأفراد بحاجة إليها بتأثير من وسائل الإعلام، والإشهار الذي يدفع الأفراد إلى ذلك، بالإضافة إلى الاستهلاك الفكري والايديولوجي الذي تحتويه البرامج الأخرى من مسلسلات وأفلام، وحصص، وأخبار حيث يصنع البعض منها منتوجات بعيدة كل البعد عن الواقع وأقرب منها إلى الوهم في الشخصيات، والسناريوهات، كما تقدم بعض الوسائل، والمواقع التواصل مواقف من القضايا الراهنة التي يعرفها العالم من حروب وبؤر الصراع لا علاقة لها بالحقيقة، ويمثل تعدد الأخبار والسبق الإعلامي المنتشر بشكل رهيب بمثابة اللاخبر إلى درجة لا يمكن التميز الحقيقة، والكذب.

المادة الإعلامية التي تقدمها الكثير من القنوات و الوسائل تتميز بدرجات كبيرة من العنف، التفاهة، الانحلال الأخلاقي تجعل الأفراد والمجتمعات يقعون في الاعتيادية la normalisation والاكتساب اللاواعي حيث يفقد الافراد المناعة الثقافية وتنعدم لديهم القدرة على التمييز والتوقع .

بالرغم من المحاولات للبعض في هذه المجتمعات تفادي الانزلاق في الأسطح الملساء لما بعد الحداثة، والحفاظ على بصيص من الأمل المتبقي في بعض الجوانب الفكرية، والسياسية، الفنية الرفيعة إلا أن الأمر في غاية الصعوبة بسبب قوة التيار (الما بعد حداثي) الذي يستمد طاقته من التحالف الذي عقدته مع الثقافة الشعبية التي تحولت إلى ثقافة مضادة خاصة عند

فئة الشباب حيث تتجسد في الكثير من مظاهر الانحراف مثل: (المخدرات، الجريمة، العنف، .....).

يقول (بيتر بروكر) أن ما بعد الحداثة تقترن بالثقافة الدنيا(الرديئة) وتهاجم فنون الماضي وتحاكيها بسخرية وترتبط بالتفكيك والنزوع الاستهلاك، ووسائل، الإعلام، ودوائر المعلومات، التي تروج لمعرفة تختلف كل الاختلاف عما اشتهرت به الحداثة في الأعمال الفنية الكبرى ولدى كبار المنتجين الاقتصاديين، وفي مجال الثقافة، والفن،...إلخ؛ هذا يوضح وبشكل جلي أن ثقافة ما بعد الحداثة تروج لها الطبقات المسيطرة من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف والامتيازات، وإبقاء المجتمعات الإنسانية تحت السيطرة والسيطرة هنا لا تقتصر عل المجتمعات المحلية وإنما تتعدى ذلك في محاولة التحكم وإخضاع أكبر عدد من المجتمعات.

يوجه (فردريك جيمسن) الأنظار بصورة مستمرة إلى قضايا التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي تثيرها ما بعد الحداثة وبالتالي إلى طبيعة الرأسمالية المتغيرة وقدرة الماركسية على البقاء وصلاحيتها الدائمة. يشارك (جيمسن) في الجدل الذي أثاره عالم الاجتماع المحافظ (دانيال بيل) حول دخول القرن العشرين إلى مرحلة *ما بعد الصناعة* و يرى أن الرأسمالية توسعت ورسخت هيمنتها، ويتساءل كيف تنتمي التغيرات التي تطرأ على نمط الإنتاج والعلاقات بين الطبقات في ظل الرأسمالية إلى أشكال جديدة من الإنتاج الثقافي، ويرى (جيمسن) أن كلاً من (هابرماس، وليوتار) لحداثة ثقافية أقدم زمنا يرى أنها فشلت. ويتقاسم كل من (بودريار، و جيمسن) وجهة نظر عن المجتمع الراهن باعتباره مجتمع الصورة الزائفة بعيدا عن للواقع معظم اتجاهات ما بعد الحداثة ظهرت كرد فعل محدد تجاه الأنماط السائدة من الحداثة العليا وضد هذه الحداثة أو تلك التي غزت الجامعة، المتحف، شبكة معارض الفن، ...إلخ هذه الاتجاهات المدمرة التي كانت مشينة في نظر الجيلين السابقين أصبحت أثارا مادية يجب تدميرها حتى يظهر الجديد وهذا معناه أنه سيكون هناك العديد من مختلف أنماط ما بعد الحداثة بما لا تقل عما كان هناك من أنماط حداثية عليا، وهو أمر لا يجعل من

السهل وصف ما بعد الحداثة بأنها شيء متماسك، لأن وحدة الحافز الجديد– لو كان هناك حافزا جديدا أصلا– لا تنشأ من ذاتها بل في نفس الحداثة التي تسعى إلى تقويض دعائمها.

تعمل ما بعد الحداثة على محو بعض الفواصل الرئيسية القديمة بين الثقافة العليا وبين ما يسمى بالثقافة الجماهيرية أو الشعبية، وهذا الأمر يعتبر الأكثر إزعاجا من وجهة نظر الأكاديمية، لأن الأمر يتعلق بصورة خاصة بحفظ دائرة خاصة من ثقافة الصفوة (النخبة) في مواجهة البيئة الهمجية المحيطة من مسلسلات تلفزيونية، والأفلام، والمجلات الرديئة والتافهة. مما يؤدي إلى اختلاط الأمور إلى درجة يصعب معها الفصل بين الفن الرفيع أنماط السوق.

وكخلاصة لهذه الظاهرة فليس ثمة كيان ثقافي منفرد أو تحول ثقافي تاريخي مطلق، وتبقى العلاقة جدلية والحوار المتبادل من بناء للقواعد والقيم والمعايير وهدمها؛ لكن توجد عناصر من المرحلة القديمة تقاوم بعنف المرحلة الجديدة، كما تسعى المرحلة الجديدة القضاء على كل ما هو قديم وبالتالي ليس ثم جزء داخلي أو خارجي من عمليات البناء الايديولوجي العالمي الذي يندرج ضمن مفهوم العولمة.

4-الهوية والهوية الاجتماعية.

4/1- مفهوم الهوية في العلوم الاجتماعية:

« هل الهوية روح معنوية وفيض من الإحساسات المنقوشة في الوعي الجمعي؟، أم هي إدراك حي، ومتجدد يتفاعل مع المحيط المادي والثقافي للبشر؟ .انه تساؤل كلاسيكي تعددت الإجابات عنه و اختلفت خاصة من قبل الفلاسفة ودارسي الحضارة ... [1]».

وربما نستخلص من العبارات والأمثلة القليلة التي يوردها قاموس (أوكسفورد) أن الأمر يتعلق بالتطابق التام ما بين باطن الشيء وظاهره، أو بتماثل التجليات الظاهرة لأي كينونةٍ مع جوهرها العميق، بلا انفصام أو انشطار مهما كان ضئيل ، ....ويحدد الفرد الصورة التي

[1]– عبد الله الغدامي: القبيلة و القبائلية :ط1،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب:2009، ص 35.

يحملها في نفسه عن نفسه، والتي ستؤثر، بطريقة أو بأخرى، في تحديد المنظور الذي سيعتمده لإحالة ذاته إحالة موضوعية في العالم، والذي سيُطل من خلاله على الآخرين ليرسم الصورة التي سيكونها في نفسه، ولنفسه عنهم [1]».

« ... مفهوم الهوية كثيرا ما يساء تعريفه أو استخدامه من طرف الناس سواء عن قصد من أجل تحقيق أغراض مرتبطة بمصالح فئوية معينة، أو عن غير قصد نتيجة كثرة التداخلات و التناقضات التي يفرضها غموض، والتباس المفاهيم المتعددة و المرتبطة بالموضوع [2]» ولتجنب هذا الغموض و الخلط لا بد من الاعتماد على التساؤلات الآتية: من أكون؟ وكيف أصبحت على ما أنا عليه؟ ما هي العناصر التي تشكل هويتي؟.

معرفة الذات الفردية والجماعية معرفة عميقة ومتشعبة تفضي إلى تصفيتهما من الوهم والإيديولوجية والأخيلة الزائفة والجموح الفارغ، إنما هي القاعدة التي يُمكن أنْ يتأسس عليها الكلام على الهوية بوصفها ثروة حضارية. وبهذا المعنى، فإن الهوية ليست مطلقاً يسبح في فضاء بلا هوية، وإنما هي ذات إنسانية، فردية أو جماعية، تتصهر في "ذات ثقافية" تقوم على التعدد والوحدة، وعلى التحول الدائم على محور ثبات، تماما مثل القناع الذي هو بنية عميقة، أو منظومة علاقات ثابتة ومتحولة يُمكن إدراكها من خلال المحور الثابت الذي تتحرك عليه تحولات ترسخ دلالة أن الهوية في تخلق مستمر، وأن الذات لا تجد حضورها إلا بانفتاح الأنا على ذات تتجسد في آخر سواها.

يرتبط مفهوم الهوية و الثقافة بشكل يكاد يكون في حلة الخضوع المتبادل وذلك يظهر من خلال التعريف الآتي:« مجموع التصنيفات الإنتمائية التي يرى بواسطتها الإنسان محيطه، و هي تضم التصنيفات القائمة على اللغة و الدين و العرق و الجنس و الأدب و

[1]- منظمة اليونيسكو،(د.ص).
[2]- محمد الكوخي، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، أفريقيا الشرق، المغرب 2014، ص، 14.

الموسيقى و العادات و التقاليد و الوطن و المهنة و التاريخ...الخ [1]». بهذا التعريف الذي يتناول بصفة عامة مفهوم الهوية.

4/2- مفهوم الهوية في علم الاجتماع : مفهوم الهوية في علم الاجتماع يتضمن كل ما يتعلق بقضية العلاقة بين الجماعية والفردية، والحتمية الاجتماعية والفردية التفرد، وليس من الممكن معالجة هذه الفكرة حتى الآن من دون الإشارة إلى الاتجاه السائد في علم الاجتماع الذين لديهم مناهج متعددة.

بالإضافة إلى تعريف "الهوية الذاتية" (الهوية الذاتية أو الشخصية) تقترب أكثر أو أقل من تلك التي عرضت في علم النفس، وعلم الاجتماع كما يقدم تعريف "الهوية الاجتماعية" الهوية للآخرين من خلال التصنيفات، والحالة الاجتماعية أو المهنية، وهدف الهوية في مفهومها الاصطلاحي تناوله علماء النفس والاجتماع الانتروبولوجيا ونظرا للزخم الهائل من التعريفات التي تتقاطع بين النفسانيين والاجتماعيين والأنتروبولوجيين.[2]

الهوية هي مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه أو يتعرف الناس عليه، أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كانسان له جملة من الأدوار والوظائف والتي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها.

كما أن مفهوم الهوية نجده متعلقا بمفهوم الثقافة في مجال التعريفات التي تناولته فهو مفهوم ثقافي تاريخي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يحيا بها فدور الثقافة بكل ما تحمله من معاني هو تكريس هوية ثقافية؛ من خلال عملية تمثيل عاطفي واجتماعي مع

[1] - المرجع نفسه، ص، 13.
[2]- منظمة اليونسكو، مرجع سابق (د.ص).

عملية اندماج تاريخية و ثقافية ونفسية واقتصادية تستغرق زمنا طويلا مما يؤكد أهمية التاريخ في خلق الهوية الثقافية بصفته العصب الذي تنمو وتتشكل فيه.

التراكم التاريخي ضروري لصنع الهوية الثقافية لأنها في النهاية هي المستوى الناضج الطبيعية الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين أفرادها وبين الظروف التاريخية التي مرت بها والتي نسجت فيها بينها روابط مادية وروحية مشتركة أهمها وأعلاها رابطة الدين واللغة.

"وتأسيسا على ذلك، فإن للهوية، باعتبارها منظومةَ قيم مُطلقة وبنية متحولة في آن معاً، وظيفةً حضاريةً تفضي بالإنسان إلى صعود مراقي التطور والتقدّم والازدهار، وتنجز أهدافا في تحفيز مسيرة الرقي الإنساني، وفي بناء حضارة البشر على نحو يُمكن الإنسان من الاستمرار في رحلة وجودية تحمله من كمال متحقق إلى كمالٍ محتمل."[1]

الدراسات السيولوجية والأنتروبولوجية تشير إلى أن الهوية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة أو أمة لها من الخصائص والمميزات الاجتماعية والثقافية والنفسية والتاريخية التي تعبر عن نسيج أو كيان ينصهر ويندمج في بوتقته جماعة بأكملها وبذلك يصبحون منسجمين ومتفاهمين.

4/3- أنواع ووظائف الهوية

أ- أنواع الهوية :

أ/1- الهوية الثقافية: الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيء تعريفا تلقائيا بأن الأفراد ينتمون إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية بما لها من قيم و خصوصية ثقافية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ هذه الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأساليب حياتها وإحساسها بالخضوع والمشاركة فيه قدر مشترك وتعني الطريقة التي تظهر

[1]-اليكس ميكشللي: الهوية، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم ،دمشق ،1993، ص 54.

فيها أنفسنا في ذات كلية حيث نرى انطباعاتنا الخاصة بصفة مستمرة مما يمكننا من بناء شخصيتنا من خلال التعليم والتعبير عنها في العمل الذي يؤثر بدوره في العالم الذي نحيا فيه. « وتعرف الهوية الثقافية عادة لدى علماء الاجتماع بأنها مجموع التصنيفات الإنتمائية التي يرى بها الإنسان نفسه و محيطه[1]».

تقوم الهوية على مبدأ الوحدة التي لا تتبخر فالهوية كالمجتمع الواحد الذي تتعدد مذاهبه او أحزابه السياسية إلا أنه يقوم على عدة أنماط أهمها:

– نمط الهوية الثقافية العقائدي باعتبار أن الدين مؤثر بدرجات كبيرة و معتبرة على غالبية الشعوب وهو العنصر الأساسي في تكوين الهوية الثقافية وهو الذي يميز بين المجتمعات، و الثقافات الإنسانية، من الناحية والتاريخية والقيمية و الثقافية بصفة عامة.

– الهوية الثقافية الإنسانية العالمية التي تشير إلى مدى وعي أي مجتمع بالانتماء و الولاء إلى ثقافة إنسانية ما أو حضارة إنسانية معينة. وليست الهوية، في هذا الضوء، واقعا ثقافيا أو مجتمعيا، وإنما هي قيم جوهرية تتنزل في واقع تتجدد فيه بفعل فهم الإنسان وإدراكه وديناميته، وقدرته على مواجهة مشكلات حياته وعصره، وتخطى المشاكل التي تعترضه.

ولأن الهوية هي القيم المطلقة والخالدة التي تساهم في إعطاء الصورة الحقيقة الإنسان عن كل ما يتعلق بحياته من أبسط سلوك حول الحاجات البيولوجية إلى الممارسة العقائدية، الهوية هي ثابت الإنسان وتحولاته، أو هي جوهره المجرد وتجلياته الممكنة، والمتغايرة، والمتحوِّلة في سياق صيرورة دائمة.

إنها إذن حقيقتنا التي تحتاج جهدنا الإنسانيِّ المستمر كي تتجسد في الوجود عبر القدرة الخلاقة على إحالة الذات إحالة موضوعية في المجتمع.من أجل الوصول إلى أنماط

[1]- محمد الكوخي، مرجع سابق.ص 13.

سلوكات ومواقف وتصرُّفات، وبرامج عملِ تؤسِّس حقائق حضارية ثقافية واجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية الخ.

أ/2-الهوية الفردية: هذه الهوية تعرف الشخص من شكله واسمه وصفاته وسلوكه وانتمائه المرجعي, فالهوية الشخصية تستند إلى الاستبطان الاجتماعي حيث تنشأ من تفاعل بين الآليات النفسية والعوامل الاجتماعية، ويمكن تعريفها كذلك بمجمل الصفات التي يولد بها الفرد (الجنس، النسب، العائلة، المكان الجغرافي، الجنسية...)، والتي يكتسبها(اللغة، القيم، الذوق، المعتقد، الايديولوجية، المهنة...)؛ وكل مايكتسبه الفرد يعود أساسا إلى التنشئة الاجتماعية بمعنى الجماعة هي من ينقل الهوية للفرد.

تختلف هويات الافراد باختلاف جماعات ومجتمعات الانتماء فالمجتمعات الصناعية تثمن وتهتم بالهوية الاقتصادية(المهنة، النشاط، الطبقة، الاستهلاك،...)، بينما تهتم المجتمعات المتخلفة بعناصر ثقافية أخرى وبالتالي هويات مثل (المعتقد، العرق (الاثنية)، المواصفات المورفولوجية، الجهوية...).

هدف كل فرد هو أن تُقيَم هويته لذلك يدخل في علاقات من أجل تحقيق الذات زذلك بإحساس أن يكون هو (شخصيا وذاتيا)؛ ذلك ما يحاول أن يفعله الطفل في الأسرة، التلميذ في المدرسة، والعامل في المؤسسة، انطلاقا من تحقيق الذات على مستوى المؤسسات تتكون الهوية الفردية، وبالتالي الهوية الجماعية ثم المجتمعية[1]. « لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يستطيع العيش بمفرده، فإن ذلك يجعله يربط باستمرار علاقات تواصل مع افراد آخرين من المجتمع، يمكن أن يكون ناجحا إذا لم يكن هناك شعور متبادل بالانتماء المشترك إلى نفس المجموعة [2]».

[1] _ Marc Montoussé , Gilles Renouard,OPCIT,P 96.

[2]- المرجع نفسه، ص 14.

أ/3-الهوية الاجتماعية: وهي عبارة عن هوية "النحن" وهي تلك الصورة أو ذلك الشكل الذي تكونه مجموعة معينة عن نفسها، وأنها تنشأ من الداخل من الأفراد باتجاه الخارج تداولها داخل المجموعة وهي أساس مسألة المعرفة للوعي الذي يحمله الأفراد اتجاه الخارج في إطار هذه الهوية أي تتبع الواقع الاجتماعي للأفراد، و معنى آخر الإتحاد أو الإدراك الذاتي المشترك بين جماعة من الناس ونظرية الهوية الاجتماعية. كما يمكن أن تكون الهوية الاجتماعية « على أساس مستوى الدخل و المهنة، و مستوى التعليم، و السلوك العام بما أنه أحد رمزيات الشخص وطريقة تقديمه لنفسه أو لنفسها (الهوية)[1]».

تتميز كذلك بوجود روابط قوية بين اكتساب قيم الجماعة وبين مفهوم الذات فالناس تسعى للحصول أو الحفاظ على الهوية الاجتماعية الايجابية؛ من أجل أن ترفع من تقديرهم للذات وتحقيق الهوية الايجابية وبالتالي تنشأ عن طريق المقارنة بين داخل الجماعة وقيمها وعاداتها ورموزها وبين خارج الجماعة وما يمثل القيم و العادات و الرموز في الجماعات الأخرى.

الهوية السياسية: مثل كل الهويات الجماعية، الهوية السياسية انتاج تاريخي وأفضل مثال على ذلك القارة الأوروبية حيث الهويات الوطنية في حدود القرن 19 نجده في كل بلد الديمقراطية السياسية تدعم هوية الانتماء، ورسخت ثقافة الممارسة السياسية (اليمين، اليسار، المحافظون، التقدميون، حزب العمال، أحزاب ذات مطالب بيئية...). على العكس من ذلك اليوم هذه الثقافة في تراجع مستمر حيث فقدت هذه المجتمعات هويتها السياسية؛ ذلك لأن عولمة الاقتصاد، وعصر ما بعد الصناعة حطم الفضاء الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة(العادات، المعتقد، القيم،...)؛ لهذا السبب أصبحت الأمة لم تعد ذلك الإطار الوجيه الذي يقدم الحلول للمشاكل الاقتصادية أو البيئية وبالتالي تطفو إلى السطح ظواهر سلبية كثيرة تهدد وحدة المجتمع بالدرجة الأولى. فهذه الأمم(فرنسا، اسبانيا على سبيل المثال) دمرت

[1]- عبد الله الغذامي، مرجع سابق، ص 54.

المعالم التقليدية للثقافة السياسية [1]. فالسياسي شيئا فشيئا يقدم هويات أقل دقة واستقرار؛ مما يؤدي في النهاية إلى « ... حينما يقدم الفاعلون في المجتمع على وضع تصور يفضي إلى هوية جديدة مبنية على ما يتوفر لهم من وسائل ثقافية تعيد تعريف مكانتهم في المجتمع، ومن هنا يسعون إلى تحويل بنية المجتمع ككل و تحوير مساره. [2]». وذلك ما ذُكر في العناصر السابقة.

4/3 وظائف الهوية:

الوظيفة المعنوية: تلعب الهوية دورا معنويا في عملية إنتاج الذات الفردية والجماعية وتأكيد الذات الفردية والجماعية وإعادة ترتيب علاقاتها بمحيطها من اجل إثبات وجودها وتحقيق الاستقرار فتجعلهم منتمين إلى هوية معينة يحافظون على معرفة ذاتهم ويعرفون الآخرين بها. لأن الوعي بالذات ليس إنتاجا فرديا صرفا ولكنه ينتج عن مجموعة التفاعلات الاجتماعية التي يكون الفرد والجماعة منغمسا فيها وانعدام أو انقطاع الذات يؤدي إلى حدوت أزمة الهوية ففي حالة عزل الذات عن هويتها قد يحدث بما نسميه بانعزال الهوية الذي هو قبل كل شي تعبير عن التصرف والإقصاء والانسلاخ عن الهوية الأصلية وتشكيل هوية جديدة.

الوظيفة الإدماجية والتكيفية: إن المحيط الذي يعيش فيه الأفراد مليء بالتناقضات والتنوع وعدم التوافق والتماثل والانسجام بين مكوناته يكون مهددا حقيقيا لوحدة وانسجام مقومات الهوية أو بين الأطراف والمكونات الثقافية المتمايزة، لذا ينبغي أن يكون بناء مقوماتها في تناغم مع المحيط عن طريق التفاوض، لذا فالهوية تسعى إلى إدماج وتكليف الأفراد والجماعات مع محيطهم ومع الأوضاع المختلفة التي يجدون فيها (تغير السلوك والفعل أو تطويره طبقا للظروف المحيطة)، فالهوية تراعي الواقع الذي نستقي منه أكبر قسط من مكوناتها فالهوية تتأسس على عملية تحقيقها وتوحيدها على المؤسسات والجامعات من أجل الاعتراف بها.

[1] Marc Montoussé , Gilles Renouard,OPCIT,P 96.

[2]- المرجع نفسه، ص 51.

الوظيفة القيمية: يشير أنصار التفاعلية الرمزية أن الأفراد في تفاعلهم يسعون لإظهار أحسن الصور عن ذواتهم و تقديم أجمل الصور عن شخصيتهم و جوهرهم؛ و لكن هذا يبق مجرد تمثيل و قناع يلبسه الأفراد في مختلف المواقف و المواقع من أجل إيهام الذات و الأخر بالالتزام، بالرغم من هذا إلا أنه هناك مبادئ و ثوابت موجودة فعلا و حقيقة في شخصية الأفراد لا يمكن التنازل عنها على الأقل بسهولة حيث يعمل الفرد على إسناد نفسه مميزات ذات قيمة إيجابية بناء على أنه المثالي، فهو يسعى إلى إنعاش العلاقة الإيجابية مع الذات بعدما يحصل الاعتراف فحينما تصير مبررة ومشروعه على نحو أساسي ولأن الهوية مسألة لها قيمتها ولا يمكن أن تستخلص قيمها إلا من خلال المعايير العليا للمجتمع وللجماعة لذلك فالأفراد والجماعات حينما يكونون أثناء عملية التفاوض مع المحيط الذي يعيشون فيه يسعون إلى تشكل هوية مرغوب فيها وذات قيمة لدى الآخرين، فالهويات تتغير وتتصارع من اجل الاعتراف بها في جو من الفضاء العام.

5/3- الهوية الاجتماعية حركية:

التنظيمات في المجتمعات المعاصرة تحاول قدر الإمكان تثبيت الهويات الجماعية وتركز دائما على استمراريتها وهذه سياسة المجتمعات المابعد صناعية، هنا يكمن الخطأ الجوهري في مفهوم الهوية لأن هذه الاخيرة بناء تاريخي يبحث عن الشرعية في طبيعته من أبسط فعل على المعتقد « وهي الهوية التي تنتجها المؤسسات الاجتماعية المهيمنة من أجل إدامة هيمنتها و عقلنتها، كأن تكون العامل الفعال في ذلك حسب منطق نظرية السلطة و الهيمنة كما يطرحها سينيت. [1]». هذا النوع نجده في المجتمعات ما بعد صناعية كذلك في المجتمعات المتخلفة حديثة الاستقلال التي تبنت الحداثة كمشروع لبناء الدول؛ حيث تعمل المؤسسات الاجتماعية المدعمة من طرف نظام قيمي محدد يتمثل في النظام السياسي خاصة على فرض مجموعة من المعايير، و القوانين، و القواعد من خلالها تعيد إنتاج هذه الهوية التي تعتبر وسيلة للحصول الكثير من الإمتيازات المادية و المعنوية مع تشكيل نظام

[1]- عبد الله الغذامي، مرجع سابق ص 51

دفاعي بحيث يبقى هذا النوع ليس في متناول القاعدة؛ مما يفقد الهوية البعد الموحد للجماعات هذا من جهة؛ الهويات الجماعية ليست فقط بنائية ولكنها أبدية التطور كذلك بحيث يؤدي عدم الاستقرار للفاعلين في مجال التنشئة الاجتماعية إلى تشكل أزمات في الهوية الجماعية الكلاسيكية(الهوية العائلية، الوطنية، المهنية، الدينية...) وفي نفس الوقت تظهر جماعات تسعى الى تحقيق مجموعة من المطالب من أجل التمكين لهويات جديدة في الظهور مثل: (الجماعات النسوية، المثليين، الجهويين، الجماعات الاثنية...) [1]

5- التضامن والتجانس الاجتماعي:

يتداخل بشكل كبير مفهومي التضامن والتجانس الاجتماعي إلى درجة أن كل منهما يكمل الآخر من الناحية النظرية، كذلك في الواقع والممارسة الاجتماعية.فلا يمكن تناول مفهوم التضامن الاجتماعي دون العودة إلى (اميل دوركايم) بالتحديد أطروحة تقسيم العمل الاجتماعي 1893 حيث وظف في هذه الأطروحة نوعين من التضامن الآلي والعضوي اللذان فسر من خلالهما تقدم المجتمعات الإنسانية؛ فالتضامن الآلي خصوصية المجتمعات التقليدية يقوم على التساوي والتشابه بين الأفراد في النمط المعيشي والمستوى الثقافي. أما التضامن العضوي فهو خصوصية المجتمعات الحديثة يقوم على الاختلاف والتنوع الاجتماعي خاصة في الوظائف والنشاط الاقتصادي.

أشار (دوركايم) إلى أن الوحدة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة ليست أقل شئنا من الوحدة التي نجدها في المجتمعات التقليدية؛ لأن الأفراد يمارسون أعمال متكاملة في هذا النوع من المجتمعات حيث الوعي الجماعي (العقائد،القيم، الأحاسيس المشتركة حول مشروع مجتمعي موحد).

التماسك الاجتماعي يتطلب تعاون منظم من اجل التخفيف من المخاطر المحتملة لـ الفوضى، خاصة في عالم الشغل. كما أشار (دوركايم) إلى أن مجموعات العمل تلعب دورا مهما من

[1] - Marc Montoussé , Gilles Renouard , 100Fiche Pour Comprendre La Sociologie ,Bréal, France, P 96.97.

اجل تشكيل نظام من القواعد لا يمكن الاستغناء عنه؛ بهدف التكامل الوظيفي وتحقيق التضامن العضوي.

تحول مفهوم التضامن الاجتماعي إلى أحد المطالب الاجتماعية بتأثير من التصاعد الذي تعرفه البرجوازية الجشعة التي تسعى إلى الاستغلال، ليتحول هذا المفهوم السوسيولوجي إلى بيان ومفهوم سياسي. العمق السوسيولوجي لهذا المفهوم لم يفقد قيمته بالرغم من ابتكار واستعمال مفاهيم محايدة جديدة من طرف علماء الاجتماع على غرار مفهوم الاعتماد المتبادل Interdépendance.

كذلك مفهوم التبرع، أو Le Don وذلك من اجل تأهيل التبادلات الاقتصادية، والرمزية في الجماعات الصغيرة خصوصا في العائلة؛ لتنتشر بعد ذلك في المؤسسات الأخرى وكأن للأفراد واجبات كل واحد تجاه الأخر .

أما التجانس الاجتماعي فهو مفهوم يختلف كذلك بين المجتمعات التقليدية ومجتمعات الحداثة وما بعد الحداثة؛ في المجتمعات التقليدية يقوم مفهوم التجانس الاجتماعي على الجانب الوجداني، المادي، والثقافي بالمعنى الواسع للكلمة حيث يتساوى الأفراد ويتفقون على قواعد تضبط حياتهم الاجتماعية، وبالتالي مستويات التفاعل والعلاقات تعرف معدلات كبيرة من التوافق الاقتصادي، والاجتماعي خاصة؛ بالرغم من الظروف الصعبة وسيطرت المؤسسات الدينية عل رأسها الكنيسة؛ إلا أن النظام الاجتماعي بصفة عامة كان يتميز بالتراتبية وبنسيج اجتماعي متماسك بين الأفراد، والجماعات.[1]

في المجتمعات الحديثة فالانسجام الاجتماعي مفهوم مرتبط بالمفاهيم الأخرى التي ظهرت في ذلك الوقت مثل المساواة، حقوق الإنسان، الحرية...ألخ. وكان يحمل بعدا قانونيا ومؤسساتيا(العقد الاجتماعي) بحيث تعمل هذه الأخيرة على ضمانه بالرغم من الصعوبات الكبيرة التي

[1] - فلليب كابان، جون فرانسوا دورتيه ، مرجع سابق ص 267.

كانت تواجه هذه المؤسسات بفعل تعدد القيم، والمعتقدات، والاتجاهات الجماعية والفردية؛ لذلك كان مفهوم التجانس من بين المفاهيم المهددة بالزوال باعتباره يرتبط ارتباطا وثيقا بمفاهيم مثل التماسك، التضامن الاجتماعي في ظل التنامي الرهيب الذي عرفته ظاهرة الفردانية وتشيئ العلاقات الاجتماعية أو (مادية العلاقات الاجتماعية). أما عصر ما بعد الحداثة فيمكن إن نختصر مفهوم التجانس الاجتماعي في كون الأفراد والجماعات يتشابهون في صفة البشرية فقط .

6- أسس وأبعاد المواطنة :

شرعية المجتمعات الديمقراطية تقوم على مبدأ المواطنة حيث يتم إدماج أعضائها من خلال مواطنة مشتركة، وذلك بتجاوز كل الاختلافات فكل المواطنين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات مهما كان عرقه، جنسه، معتقده، ولون بشرته، ومميزاته الاقتصادية والاجتماعية. تعتبر المواطنة مبدأ لتسيير الاختلافات بين الأفراد في المجتمع الواحد ولكل هذا برعاية وحماية النصوص القانونية والتشريعية؛ من أجل تجاوز رهان المجتمع كتلة من الأفراد المفصولين من الناحية القيمية، المواطنة تجعل من الأفراد كتلة من الأفراد الأحرار وفي الوقت نفسه ملتزمون بالقانون من أجل العيش المشترك.[1]

لا يمكن الحديث عن المواطنة دون الحديث عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية كونها تلعب دورا مهما في بناء مشروع مجتمعي يحقق كيان و وجود حقيقي للفرد و الجماعة ،حيث لا يمكن استثناء أي منها لأنها بمثابة سلسلة من الحلقات تؤثر و تتأثر بين بعضها البعض. لكن تبقى مكانة الأسرة كمؤسسة اجتماعية في المجتمع مكانة جد حساسة باعتبارها المكان الأول الذي يجد الفرد نفسه فيه وأول احتكاك له بالحياة الاجتماعية ،لذلك فهي التي تصنع المعالم الأولى لشخصية الفرد في عدة جوانب منها الإحساس والشعور بالانتماء الى وطن من الأوطان أو ما يسمى بالمواطنة ،وهذا الإحساس أو الشعور لن يتكون عند الفرد بعفوية ،وإنما

[1] OPCIT, p 30.

باعتماد طرق وأساليب معينة في التربية و التنشئة الاجتماعية انطلاقا من الجانب الثقافي والاقتصادي الاجتماعي والسياسي حيث تتأثر الأسرة بكل ما يحط بها من مؤسسات و ظروف اجتماعية هذا المحيط الاجتماعي الذي يمكن إن يلعب دورا ايجابيا أو سلبيا في تكوين ما يسمى الشعور بالانتماء أو المواطنة لدى الفرد .

الفرد الذي يعيش في مجتمع يملك مشروع مجتمعي وذلك من خلال وجود نظام اقتصادي يضمن حياة مادية مقبولة وكريمة للأفراد ،ونظام اجتماعي يؤطر و ينظم العلاقات والروابط الاجتماعية، ونظام سياسي يكفل الحقوق و يفرض الواجبات من خلال العدالة الاجتماعية و نظام ثقافي ينمي روح الانتماء ويحقق المناعة الثقافية.

أما في حالة العكس أي غياب المشروع المجتمعي وفق ما ذكر سابقا وما يجب أن توفره مختلف الأنظمة والمؤسسة ذلك ينعكس سلبا على قيمة المواطنة وعلى طريقة و أسلوب التنشئة الاجتماعية التي تتأثر بالمستوى الاقتصادي والمادي للمجتمع بشكل مباشر؛ خاصة ما يتعلق بالتربية، العدالة، والصحة هذه المجالات الثلاثة الحساسة تعمل على ترسيخ قيم المواطنة بشكل كبير، بالإضافة إلى النظام الثقافي و مكانة العلم في المجتمع و المؤسسات، الذي ينمي روح الانتماء ويحقق المناعة الثقافية.

7- أزمة التنشئة الاجتماعية:

يعتبر مفهوم التنشئة الاجتماعية من المفاهيم الجوهرية في مجال العلوم الاجتماعية؛ فهي مجموعة من العمليات، والإجراءات، والبرامج التي يتلقى من خلالها الفرد قيم ومعايير المجتمع الذي ينتمي إليه وبالتالي فهي عملية تحويل الفرد من كائن غير اجتماعي إلى كائن اجتماعي بهدف تكوين فرد يتميز بالاستقرار و العقلانية في سلوكه، تصرفاته، ونمط تفكيره.

اخذ مفهوم التنشئة الاجتماعية أبعادا جديدة في المجتمعات الحديثة حيث أصبحت هذه الأخيرة تعتمد في مشروعها على التكامل المؤسساتي وذلك بتقسيم وظيفة التنشئة على عدد

من المؤسسات بهدف تحقيق المشروع المجتمعي وفق الخصوصية الثقافية والإيديولوجية، لكن نجاح هذا المشروع ليس في متناول أي مجتمع باعتبار الحساسية، والصعوبة الكبيرة التي يتميز بها حيث يعتبرها (جورج زيمل) صيرورة اجتماعية تمتد إلى كل مجالات الحياة بما فيها التاريخ، وليست وليدة الظروف والضغط الاجتماعي الراهن، لذلك فإن ربط مفهوم الأزمة بمفهوم التنشئة الاجتماعية يقتضي طرح مجموعة من العوامل والمؤشرات،[1] فالأزمة تختلف باختلاف المجتمع من حيث الأسباب، والمدة والمجال الذي تحدث فيه(اقتصادي، تربوي، سياسي...) مع إمكانية أن تكون متعددة الأبعاد والمجالات.

يدرك الأفراد أن مكانيزمات التنظيم تتعرض لاختبارات غير متوقعة وغير مخطط لها لكن عندما يتعلق الأمر بمشروع التنشئة الاجتماعية فانه لا يمكن القبول بهذا التفسير لأن التسليم به يعبر عن فشل حقيقي في تحقيق المشروع، وسيؤدي حتما إلى نتائج غير مضمونة تستمر نتائجها لعقود من الزمن مما يؤدي إلى عملية تحول قيمي في التركيبة والبناء الاجتماعي تهدد كيان المجتمع وثقافته.الأسباب الحقيقية لأزمة التنشئة الاجتماعية خفية بالنسبة لغالبية أفراد المجتمع، ذلك يعني أن النتائج السلبية لهذه الأزمة تتحملها هذه الفئة، بينما تستفيد فئة قليلة من ذلك مما يقود لإثارة مؤشر التخطيط لهذه الأزمة، فطبيعتها وحساسيتها، وأهميتها بالنسبة للمجتمعات يجعل من فرضية عدم التوقع أو سوء الدراسة والتقدير، وكونها صدفة غير مخطط لها فرضية ضعيفة المنطق والحجة .

حدوث أزمة في التنشئة الاجتماعية يستدعي تدخلا سريعا وإجراءات استعجاليه لاحتوائها فالقرارات المتخذة غالبا ما تكون عنيفة باعتبار أن الأزمة في حد ذاتها شكلا من أشكال العنف لأن المجتمع دخل في مرحلة فقدان الإحساس بالذنب حيث غياب المعايير والقيم التي تضبط سلوكات الأفراد.

[1] Raymand Boudon, philipe Besnard, et autre, OPCIT , P 217.

خلال مرحلة الأزمة يسود الشك، اللاثقة (الكل يخاف من الكل)، اللااستقرار، وسوء في التوجيه للعقول حيث يفقد المجتمع معالم الانضباط، والضمير الجمعي. وصول المجتمع إلى هذه المرحلة يقتضي العودة إلى السلطة الكاريزمية بالمعنى الفيبري للكلمة (ماكس فيبر) للكلمة لان شرعية معالجة الأزمة لا تقتصر عل تطبيق القانون بقدر ما تتعلق بقوة التأثير في الأفراد والجماعات في خضم الأزمة، لتأتي بعد ذلك الإجراءات المتوسطة والبعيدة المدى التي تفرض على كل الفاعلين في المجتمع تشخيص الأسباب ومعرفة المسؤول الحقيقي وعدم الاكتفاء بمسؤولي الواجهة وإنما الهدف معرفة العدو الحقيقي (الخفي) الذي تسبب في الأزمة.[1]

التنشئة الاجتماعية السوية تقتضي تقديم المصلحة العامة على الخاصة من أجل تجسيد قيم التضامن، التجانس، الاحترام، والتسامح وذلك لتحقيق التعايش والاجتماع العقلاني بين الأفراد والجماعات كما أن المجتمعات تعيش في حالة من التغيرالاجتماعي المستمر وبالتالي عملية إعادة الانتاج تفرض مواكبة هذا التغيير واللا ثبات بفعل التقدم العلمي التكنولوجي الرهيب الذي يعرفه العالم ومواجهته بإنتاج ثقافي، اجتماعي، اقتصادي يقف في وجه الامتداد والغزو المباشر، وغير المباشر خاصة للمجتمعات المتخلفة بهدف إبقائها تحت السيطرة والتخلف من أجل الاستغلال واستنزاف كل مقتضياتها النوعية[2].

[1] - IBID, P 51 ,52.

[2] Raymand Boudon, philipe Besnard, et autre : **dictionnaire de sociologie,** ed Bethsabée Bumel,France 2005 ,p 51,217.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

1-الغدامي عبد الله : القبيلة و القبائلية :ط1،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب:2009.

2-الكوخي محمد ، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، أفريقيا الشرق، المغرب 2014.

3-خزار وسيلة ، الايديولوجيا وعلمالاحتماع، ط1، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، 2013.

4-دوران جان بيار ، روبير فايل ، علم الاجتماع المعاصر،ترجمة ميلود طواهري،ط1 ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر،2012

5-مغربي عبد الغني ، محاضرات مادة النظريات ، جامعة الجزائر- بوزريعة – 2006

6-ميكشللي اليكس : الهوية، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم ،دمشق ،1993

7-كابان فليب ، جون فرونسوا دورتيه: علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات ط1، ت إياس حسن، دار الفرقد سوريا دمشق،2010

المراجع باللغة الاجنبية

8- Boutefnouchet, Mostaefa Introduction A La Sociologie, les fondements, OPU ,Aleger,2004.

9- Montoussé Marc , Gilles Renouard :100 pour comprendre la sociologie, 4e édition , bréal, France ,2009.

10- Paugam Serge, « Le Lien Social :Entretien avec Serge, Paugam » Anne Châteauneuf – Malclés- 2012. In. http://ses.ens-

lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136#section-0

11- philipe Boudon, Besnard, et autre : dictionnaire de sociologie, ed Bethsabée Bumel,France 2005 ..